Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الإمام الرضا عليه السلام

قُدْوَةٌ وَأُسْوَةٌ

الإمام الرضا عليه السلام

قُدوة وأُسوة

(ARAB)
BP193
.18
.A3M823
1990
(RECAP)

اسم الكتاب: الامام رضا(ع) قدوة واسوة
المؤلف: العلامة السيد محمدتقي المدرسي
الناشر: مكتب العلامه المدرسي
الطبعة: الاولى ذي القعدة/ ١٤١٠
عدد النسخ: ٣/٠٠٠
الثمن: ٣٥٠ ريال

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام الله على الانبياء والمرسلين والملائكة والصالحين .

وصلى الله على سيد الخلق اجمعين المهيمن على رسالات الله خاتم النبيين محمد وعلى آله الهداة الميامين .

و بعد ..

حياة المعصومين الاربعة عشر زاهرة بالحب والمعرفة والعبر والبصائر، الا ان ما بلغنا من ضياء بعضهم اكثر من بعض ، والامام الرضا ــ عليه السلام ــ من اولئك البعض الذي تسنى لنا فرصة الاهتداء الى المزيد من فضائله ، ولانهم عند الله نور واحد ، فليس علينا الا الاستضاءة بسيرته لمعرفة سيرة سائر المعصومين من ابائه عليهم جميعا سلام الله .

وأظن ان حياة الامام الرضا ــ عليه السلام ــ كانت فاتحة مرحلة جديدة من حياة الشيعة حيث خرجت بصائرهم وافكارهم من مرحلة الكتمان الى

الظهور والاعلان. ولم يعد الشيعة من بعد ذلك العهد طائفة معارضة في مناطق خاصة.

بل اصبحوا ظاهرين في كل البلاد، ولقب الرضا الذي اطلق على الامام علي بن موسى ـ عليه السلام ـ يدل ـ فيما يدل ـ على انه كان اماما رضي به الموافق والمخالف.

وها نحن نتبرك بالحديث عنه سائلين الرب ان يرزقنا معرفته واتباعه وشفاعته وشفاعة جده المصطفى عليه وآله الصلاة والسلام.

محمد تقي المدرسي
١١/جمادي الاول/١٤١٠هـ

• الفصل الاول : ــ

■ وجاء المولود الميمون

يذكر الرواة ان ام الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ حميدة المصفاة كانت من اشراف العجم ، فاشترت جارية قد ولدت في البلاد العربية وتربت فيها ، فلما اختبرتها ووجدتها من افضل الناس في دينها وعقلها اختارتها لولدها الامام موسى بن جعفر وقالت له : يا بني ان تكتم (وهذا احد اسماءها) جارية مارأيت جارية قط افضل منها ولست اشك ان الله تعالىٰ سيظهر نسلها ان كان لها نسل ، وقد وهبتها لك فاستوصي بها خيرا .

وذكروا من فضلها : انها لما ولدت للامام علي الرضا كان الرضا يرتضع كثيرا وكان تام الخلق ، فقالت ، اعينوني بمرضعة فقيل لها : انقص الدر؟ فقالت : لا اكذب ، والله ما نقص ، ولكن علي ورد عن صلاتي وتسبيحي وقد نقص منذ ولدت .(١)

وقد ذكر المؤرخون اسماء عديدة لوالدة الامام ، ولعل الجارية كانت تسمى

---

(١) بحار الانوار / ج ٤٩ ــ ص ٥

عند كل مولاة باسم جديد. فكانت تسمى نجمة، اروى، وسكن وسمان، وتكتم وطاهرة. الا ان اشهر الاسماء هي تكتم، و بعد ولادتها سميت طاهرة، وام البنين.

وفي سنة مأة وثمان واربعين من الهجرة في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة الحرام(١) ولد الامام وعم بيت الرسالة سرور و بهجة.

تقول امه (تكتم الطاهرة) لما حملت بابني علي لم اشعر بثقل الحمل، وكنت اسمع في منامي تسبيحا وتهليلا وتمجيدا من بطني فيفزعني ذلك و يهولني، فاذا انتبهت لم اسمع شيئا، فلما وضعته وقع على الارض واضعا يده على الارض رافعا رأسه الى السماء يحرك شفتيه كانه يتكلم فدخل الي ابوه موسى بن جعفر فقال لي هنيئا لك يانجمة كرامة ربك، فناولته اياه في خرقة بيضاء فاذن في اذنه اليمنى، واقام في اليسرى ودعا بماء الفرات فحنكه به ثم رده الي وقال: خذيه فانه بقية الله تعالى في ارضه. (٢)

وكان الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ قد منحه لقب «الرضا» منذ نعومة اظفاره، كما انه اعطاه كنية ابوالحسن فكان كثير الحب له هكذا يروي المفضل بن عمر يقول:

دخلت على ابي الحسن موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ وعلي ابنه في حجره وهو يقبله ويمص لسانه، و يضعه على عاتقه و يضمه اليه و يقول: بابي

---

(١) وقيل بل ولد في الحادي عشر من ذي الحجة، انظر المصدر ص/ ٢ ــ ٣

(٢) المصدر / ص ٩

انت ما اطيب ريحك واطهر خلقك، وابين فضلك؟ قلت: جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودة مالم يقع لاحد الا لك فقال لي:

يامفضل هو مني بمنزلتي من ابي ــ ابي عليه السلام ــ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

قال: قلت هو صاحب هذا الامر من بعدك؟ قال:

نعم من اطاعه رشد ومن عصاه كفر.(١)

وهكذا ترعرع الوليد في ظل والده يزكيه باداب الامامة و يعلمه اسرارها و يطلعه على ودائع النبوة.

وكان يقول الامام موسى بن جعفر ــ حسبما جاء في حديث ــ

علي ابني اكبر ولدي واسمعهم لقولي. واطوعهم لامري، ينظر معي في كتاب الجفر والجامعة، وليس ينظر فيه الانبي او وصي نبي.(٢)

وخلال سني حياته مع والده تولي ــ فيما يبدو لي ــ ادارة بعض شؤون الطائفة نيابة عن والده، ولعل الحديث التالي يدل على ذلك يقول: زياد بن مروان القندي: دخلت على ابي ابراهيم (الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ) وعنده علي ابنه، فقا لي:

---

(١) المصدر / ص ٢١

(٢) المصدر / ص ٢٠

يازياد هذا كتابه كتابي، وكلامه كلامي، ورسوله رسولي، وما قال فالقول قوله. (١)

وقد اكثر الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام : ــ من بيان فضائل ابنه الرضا ــ عليه السلام ــ وانه خليفته والامام من بعده مما يثير السؤال عن حكمة ذلك، ولعل من الاسباب التي تهدينا الىٰ تلك الحكمة :

كانت الظروف السياسية قاسية جدا. حيث التقية في اشدها، واهل البيت مطاردون وهارون الرشيد كان يلاحق اصحاب وانصار اهل البيت من بلد الى بلد، و يقتلهم زرافات ووحدانا. والامام موسى بن جعفر يتنقل بامره من سجن لاخر فكانت امكانية تفرق كلمة الشيعة بعد وفاته تجعل من الحكمة التأكيد على ولاية الامام الرضا.

والاصحاب بدورهم كانوا يتوجسون خيفة من اختفاء الامام فجأة دون معرفة الامام من بعده يظهر بذلك كله من بعض الاحاديث التالية :

روي عن يزيد بن سليط الزيدي قال : لقيت موسى بن جعفر فقلت : اخبرني عن الامام بعدك بمثل ما اخبر به ابوك قال :

كان ابي في زمن ليس مثل هذا

قال يزيد فقلت من يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله قال فضحك ثم قال : اخبرك

---

(١) المصدر / ص ١٩

يا ابا عمارة اني خرجت من منزلي فاوصيت في الظاهر الى بنيّ واشركتهم مع علي ابني وافردته بوصيتي في الباطن.(١)

و يروي على بن عبد الله الهاشمي: قال: كنا عند القبر (اي قبر رسول الله ــ صلى الله عليه واله) اذا اقبل ابو ابراهيم موسى بن جعفر و يد علي ابنه في يده

فقال اتدرون من انا ؟

قلنا: انت سيدنا وكبيرنا،

قال سموني وانسبوني:

فقلنا انت موسى بن جعفر فقال:

من هذا معي ؟

قلنا هو علي بن موسى بن جعفر قال:

فاشهدوا انه وكيلي في حياتي ووصيي بعد موتي.(٢)

وقد اتخذ الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ كافة وسائل الاحتياط

---

(١) المصدر / ص ١١

(٢) المصدر / ص ١٥

لبيان امامة الامام الرضا . فمثلا : كتب كتابا بذلك واشهد عليه ستين رجلا من وجوه اهل المدينة . (١)

وكان يرجع الامور اليه في حياته كما فعل عندما اشخص به الى البصرة حيث دفع الى عبدالله بن وحوم كتبا وامره بايصالها الى نجله الرضا في المدينة (٢)

وكتب في البصرة الواحا و بعثها الى شيعته هناك وقد كتب فيها : عهدي الى اكبر ولدي . (٣)

وكان يأخذ بعض الحقوق التي تجبى اليه و يبقى بعضها ليعطيه الى وصيه الذي يطالبه به ليكون علامة ظاهرة كما فعل بداود بن زربي . (٤)

وما اشبه كل ذلك بعكس الظروف السياسية الصعبة التي كان يعيشها الامام في حياة والده والتي احتاط الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ فيها لتبقى الامامة بعيدة عن الشكوك .

و يظهر ذلك بوضوح من وصية لنجله بان يسكت مادام الرشيد حيا فاذا هلك نطق بالحق .

---

(١) المصدر / ص ١٧

(٢) المصدر / ص ١٦

(٣) المصدر / ص ١٩

(٤) يبدو من بعض الاحاديث ان هذا الرجل كان يعيش حالة التقية مما يجعل هذا الاجراء مناسبا لحاله .

ومن جهة اخرى في مثل هذه الظروف الصعبة التي كان الشيعة يعيشونها على عهد طاغية بغداد هارون الرشيد كان من الممكن ان تنتشر الخرافات التي لها سوق رائجة عند اشتداد الازمات. ولعل بعض التيارات السياسية كانت وراء نشر مثل تلك الخرافات لاهداف معينة. فدرءاً لمثلها قام الامام الكاظم ببيان أمامة ابنه الرضا بذلك الوضوح.

و بالرغم من ان فكرة غياب الامام الكاظم انتشرت ردحا من الزمان وغذتها ايد خائنة واخرى جاهلة فقالوا بان الامام لم يمت وانه مهدي هذه الامة ووقفوا عند الامام السابع فسمّوا (الواقفية).

الا انها لم تلبث ان زالت و يبدو ان احد اهم اسباب ذلك تأكيد الامام في تعريف الشيعة بوصيه الحق، الامام الرضا ــ عليه السلام ــ.

• خلقه وفضائله

كان قرآنا ناطقا، خلقه من القرآن، علمه ومكرماته من القرآن.

اوليس القران اية الله العظمى في خلقه، اولم ييسره ربنا لمن شاء من عباده ان يستقيم عليه؟ او يكون ذلك غريبا ان يصبح من تمثل القران في حياته اية عظمى لرب العالمين.

والنبي ــ صلى الله عليه واله ــ كان افضل واعظم ميزاته ان عبد يوصي اليه وحين سأل بعضهم عن خلقه العظيم قال:

كان القرآن خلقه ..

واعظم ميزات الامام علي ان الله قد جعل اذنه واعية للقرآن.

وقد ذكرنا الرسول بانه يخلف بعده الثقلين كتاب الله وعترته اهل بيته ثم بين انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. اولا يعني ذلك ان اهل بيت الرسالة ــ عليهم السلام ــ كانوا مشكاة نور القرآن ومعدن خيرات الوحي ومستقر علم الله.

وكان الامام الرضا ــ عليه السلام ــ قد تمثل هذا النور ــ بكل وجوده حتى جاء في الحديث:

عن ابي ذكوان قال: سمعت ابراهيم ابن العباس يقول:

ما رأيت الرضا ــ عليه السلام ــ سئل عن شيء قط الا علمه، ولا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان الى وقته وعصره، وكان المأمون يمنحه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وحوابه وتمثله انتزاعات من القرآن وكان يختمه في كل ثلاث،

ويقول: لو اردت ان اختمه في اقرب من ثلاثة لختمت ولكني مامررت باية قط الا فكرت فيها وفي اي شيء انزلت، وفي اي وقت فلذلك صرت اختم كل ثلاثة ايام.(١)

---

(١) المصدر/ ص ٩٠ ص ١٥

ولكن دعنا نعرف كيف تمثل امامنا الرضا ــ عليه السلام ــ القرآن بهذه الدرجة، او يمكننا ان نتبعه في ذلك ؟

القرآن كتاب الله ومن لايتصل قلبه بنور الله لايعرف كتابه اولم يقل ربنا سبحانه :

«وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا» .

و بدرجة الايمان، وبمستوى اليقين، و بقدر تجلي عظمة الرب في القلب يستضيء الانسان بنور الله الذي تجلى به في كتابه ..

والامام الرضا ــ عليه السلام ــ عظم الله ووقره وسلم له امره واستصغر كل شيء سواه، واستعد لكل بلاء في سبيله، وكان كل ذلك وسيلته الى ربه .

دعنا نلتمس بعض الشواهد على ما قلنا لا لكي نزداد بالامام معرفة فقط بل وايضا لكي تخشع قلوبنا بهذه السيرة التي تفيض روحا الهيا وضياءا .

كان من عبادته ــ عليه السلام ــ انه اذا صلى الفجر في اول وقتها يسجد لربه فلا يرفع رأسه الى ان ترتفع الشمس .. (١)

وعندما كلف المأمون العباسي واليه على المدينة بمرافقة الامام الى خراسان، سأله ــ بعد مقدمة اليها ــ عن احواله في الطريق ففصل الحديث عن درجات عبادته وذكره وتبتله، فلما قص عليه ذلك امره بان يكتم عن الناس ذلك

---

(١) المصدر / ص ٩٠

وكان مما نقله :

كان اذا اصبح صلى الغداة، فاذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده و يكبره و يهلله و يصلي على النبي واله حتى تطلع الشمس ثم يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار ثم اقبل على الناس يحدثهم و يعظهم الى قرب الزوال ثم جدد وضوءه وعاد الى مصلاه.. و بعد ان يذكر كيفية صلاته وسجداته ونوافله الى وقت العصر مما هو معروف في الفقه ثم يقول اقام وصلى العصر فاذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده و يكبره و يهلله ماشاء الله ثم سجد سجدة يقول فيها مأة مرة «حمداً لله» .

ثم يذكر كيف كان يصلي بعد غروب الشمس و يسبح ربه حتى يمضي قريب من ثلث الليل ثم يأوي الى فراشه.. فاذا كان الثلث الاخير من الليل قام من فراشه لنافلة الليل واستمر على ذلك حتى يطلع الفجر ثم يجلس للتعقيب حتى تطلع الشمس، و يسجد حتى يتعالى النهار.

و يضيف : وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فاذا مر بآية فيها ذكر جنة او نار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ من النار.(١)

وكان الامام يرى ان ماله من فضل انما هو بالتقوى وليس فقط بالانتساب الى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ بالولادة.

هكذا ينقل البيهقي عن الصولي عن محمد بن موسى بن نصر الرازي قال : سمعت ابي يقول : قال رجل للرضا والله ما على وجه الارض اشرف منك ابا،

---

(١) المصدر باختصار / ص ٩٢ ــ ٩٤

فقال : التقوى شرفتهم وطاعة الله اعظمتهم.

فقال له اخر : انت والله خير الناس ،

فقال له : لاتحلف ياهذا ، خيرمني من كان اتقى الله عز وجل واطوع له والله مانسخت هذه الآية : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ».(١)

وهذا الحديث يذكرنا بما يروى عن الامام الصادق ــ عليه السلام ــ انه قال :

(لولايتي لمحمد ــ صلى الله عليه وآله ــ احب اليّ من ولادتي منه).

وهكذا اطاع الله ، بكل جوانب حياته ، فاحبه الله ونوّر قلبه بضياء المعرفة والهمه من العلوم ما الهمه . وجعله حجة بالغة على خلقه ، اولم نقرء سورة «ص» كيف بين فيها ربنا مواهبه لعباده الصالحين ، وانه انما اتاهم كل تلك المواهب لعبادتهم واخلاصهم فقال مثلا :

(اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب * وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب).(٢) الى ان يقول : (فغفرنا له ذلك وان

---

(١) المصدر / ص ٩٥

(٢) سورة ص / ١٧ ــ ٢٠

له عندنا لزلفى وحسن مآب، «ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب).(١)

وهكذا اناب الامام الرضا ــ عليه السلام ــ الى ربه فوهب الله له ماشاء من الكرامة والعلم..

لقد زهد في الدنيا واستصغر شأنها، ورفض مغرياتها، فرفع الله الحجاب بينه وبين الحقائق لان حب الدنيا رأس كل خطيئة، وهو حجاب سميك بين الانسان وبين حقائق الخلق..

يذكر البيهقي عن الصولي: كان جلوس الرضا في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح، ولبسه الغليظ من الثياب حتى اذا برز للناس تزين لهم.(٢)

وكان ذلك عندما اقبلت الدنيا عليه فلم يقبلها، وتزينت له فلم يغتر بها. بلى عندما كانت الخلافه العباسية في اوج عظمتها وبذخها وترفها وكان الامام ولي عهد الخليفة في الظاهر يومئذ عاف الدنيا وشهواتها. هكذا تروي جارية اسمها عذر فتقول: اشتريت مع عدة جواري من الكوفة، وكنت من ولداتها (كانت مولودة في الكوفة) قالت: فحملنا الى المأمون فكنا في داره في جنة من

---

(١) سورة ص / ٢٥ ــ ٢٦

(٢) بحار الانوار / ج ٤٩ ــ ص ٨٩

الاكل والشرب والطيب وكثرة الدنانير فوهبني المأمون للرضا، فلما صرت في داره فقدت جميع ماكنت فيه من النعيم، وكانت علينا قيمة تنبهنا من الليل، وتأخذنا بالصلاة وكان ذلك من اشدما علينا فكنت اتمنى الخروج من داره. (١)

واعظم الزهد زهده في الخلافة بالطريقة التي عرضها عليه المأمون العباسي، فان من الناس من يزهد في الدنيا طلبا لما هو اعظم من متاعها. ولا اعظم من الرئاسة في اعين الانسان.

يقول الفضل بن سهل الذي شهد حوار المأمون مع الامام الرضا في شأن الخلافة مارأيت الملك ذليلا مثل ذلك اليوم.

يقول المأمون العباسي فيما روي منه، فجهدت الجهد كله واطمعته في الخلافة وما سواها فما اطمعني في نفسه. (٢)

• السبيل الى الله

ومن يعظم الله يعظم اولياءه، ومن يرفض توقير اولياء الله يفقد السبيل الى الله. والامام الرضا ــ عليه السلام ــ سلك هذا السبيل الى ربه. ولعمري ان الشيطان يزين للانسان مخالفة اولياء الله والتكبر عليهم حتى يضله عن سبيل الله القويم، و يلقيه في تيه السبل المتفرقة.

---

(١) المصدر / ص ٨٩

(٢) المصدر / ص ٢٠

وكلما ازداد الانسان تسليما لقيادته الشرعية، وحبا لولي امره، ولاولياء الله من الانبياء والاوصياء والصالحين كلما يزداد من ربه قربا.

والامام الرضا عليه السلام كان ــ كما سائر الائمة عليهم السلام ــ اطوع الناس لولي امره الامام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ فجعله الله حجة من بعده.

يقول الامام الكاظم:

علي ابني اكبر ولدي واسمعهم لقولي، واطوعهم لامري.(١)

وقال:

علي اكبر ولدي وابرهم عندي واحبهم الي.(٢)

ان بين الانسان وبين اولياء الله حجاب من الغرور والكبر فمن خالف هواه وتحدى غروره وحارب كبر نفسه يخرق هذا الحجاب فيدخل في حزب الله، وينتمي الى اوليائه ويستقر في مقامه عند الله. لذلك اكد القرآن على الكافرين قولهم:

(ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر)

وقد جاء في حديث روي عن ابن ابي كثير قال: لما توفي موسى ــ عليه السلام ــ وقف الناس في امره فحججت في تلك السنة فاذا انا بالرضا ــ عليه

(١) المصدر / ص ١٤٥ وسيأتي الحديث انشاء الله مفصلا حول ما جرى بين وبين المأمون
(٢) المصدر / ص ٢٤

السلام ــ فاضمرت في قلبي امرا فقلت : ابشرا منا واحدا نتبعه فمر كالبرق الخاطف علي فقال .

انا والله البشر الذي يجب عليك ان تتبعني. فقلت: معذرة الى الله واليك فقال: مغفور لك. (١)

● الشجرة الطيبة

كان الرضا من الشجرة الطيبة التي اكرمها الله ، و بارك لامة محمد فيها وقال سبحانه :

(ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم).

ولقد اختار الله يحيى بن زكريا للنبوة واتاه الحكم صبيا ، بحكمته البالغة واكراما لوالده زكريا .

واختار مريم صديقة حينما نذرت امرأة عمران مافي بطنها محررا لله .

واختار عيسى بن مريم عليهما السلام كرامة لوالدته الصديقة فكلم في المهد قائلا اني عبد الله اتاني الكتاب .

فلماذا نستغرب حينما يختار من اهل بيت محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ اثنى عشر نقيا ائمة هداة ميامين بحكمته البالغة وكرامة لاقرب الناس الى الله سيد المرسلين محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ

---

(١) بحار الانوار / ج ٤٩ ــ ص ٣٨

يقول المفضل بن عمر: دخلت على ابي الحسن موسى بن جعفر وعلي ابنه في حجره وهويقبله ويمص لسانه و يضعه على عاتقه و يضمه اليه،

و يقول: بأبي انت ما اطيب ريحك واطهر خلقك وابين فضلك،

قلت: جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودة مالم يقع لأحد الا لك فقال لي:

« يا مفضل هو مني بمنزلتي من ابي عليه السلام: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، قال

قلت هوصاحب هذا الامر من بعدك

قال: نعم من اطاعه رشد ومن عصاه كفر.(١)

• الخلق الكريم

وقد فاضت من هذه النفس الكريمة تلك الاخلاق الحسنة التي تحدثنا بها كتب التاريخ، اوليس الطيب دليل الزهرة، والشعاع دليل الضياء؟ وهل الايمان الا الحب، وهل دليل الحب غير تلك الاخلاق الحسنة؟

كان ــ عليه السلام ــ في قمة التواضع وحسن المعاشرة مع الناس هكذا

---

(١) المصدر / ص ٢١

ينقل ابراهيم بن العباس يقول: مارأيت ابا الحسن الرضا جفا احداً بكلامه قط، وما رأيت قطع على احد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيته شتم احداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته يقهقه في ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم.

وكان اذا خلا ونصبت مائدته اجلس معه على مائدته مماليكه حتى البواب والسائس، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل، كثير السهر يحيى اكثر لياليه من اولها الى الصبح، وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة ايام في الشهر، و يقول: ذلك صوم الدهر، وكان ــ عليه السلام ــ كثير المعروف والصدقة في السر، واكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم انه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه.(١)

وكان من تواضعه انه دخل الحمام فقال له بعض الناس دلكني فجعل يدلكه، فاذا بالناس يدعون الى الرجل يعرفونه بالامام، واذا الرجل جعل يستعذر منه ولكنه يطيب قلبه و يستمر في تدليكه.(٢)

و يروي رجل من اهل بلخ رافق الامام في سفره الى خراسان و يقول: دعا يوما بمائدة له فجمع مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لوعزلت لهؤلاء مائدة فقال: مه ان الرب تبارك وتعالى واحد والام واحدة والاب واحد،

---

(١) المصدر / ص ٩١ ــ س ١ ــ ١٠

(٢) لمصدر / ص ٩٩

والجزاء بالاعمال. (١)

وكان يكره لغلمانه ان يقوموا له احتراما عندما يكونون على الطعام و يقول:

ان قمت على رؤوسكم وانتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا.(٢)

وكان عظيم الحلم والعفو و يذكر من حلمه ان قائدا من اتباع بني العباس يسمى بـ (الجلودي) امره هارون الرشيد بان يذهب الى المدينة و يسلب نساء آل ابي طالب ولا يدع على واحدة منهن الا ثوبا واحداً ففعل الرجل مما اثار سخطا عظيما عند الامام الرضا ولكن ثم بعد ان عهد الى الامام الرضا بولاية العهد عارض ذلك الجلودي ونقم من بيعة الامام فغضب عليه المأمون، واخرجه يوما ليقتله من بعد ان قتل اثنين قبله فلما تمثل امامه شفع له الامام الرضا عند المأمون وقال:

يا امير المؤمنين هب لي هذا الشيخ،

فظن الجلودي انه يعين عليه فأقسم على المأمون الا يقبل قوله. فقال المأمون والله لا اقبل قوله فيك، وامر بضرب عنقه. (٣)

وكان سخيا كريما، وكان من ادابه في الصدقات انه اذا جلس للاكل اتى

---

(١) المصدر / ص ١٠١

(٢) المصدر / ص ١٠٢

(٣) في رحاب ائمة اهل البيت / ص ١٠٨ سيرة الرضا.

بصفحة فتوضع قرب مائدته فيعمد الى اطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئا فيوضع في تلك الصفحة، ثم يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية:

(فلا اقتحم العقبة)

ثم يقول:

علم الله عز وجل ان ليس كل انسان يقدر على عتق رقبة فجعل لهم السبيل الجنة (عبر الاطعام). (١)

وفرّق بخراسان ماله كله في يوم عرفة فقال له الفضل بن سهل: ان هذا لمغرم، فقال ــ عليه السلام ــ

بل هو المغنم، لا تعدن مغرما ما اتبعت به اجرا وكرما. (٢)

وكان اذا اعطى احدا سعى الا يذهب بهاءه ولا يراق ماء وجهه والقصة التالية تعلمنا كيف نجعل صدقاتنا خالصة لوجه الله لا منّة فيها ولا استعلاء.

حيث يروي اليسع بن حمزة و يقول: (كنت انا في مجلس ابي الحسن الرضا ــ عليه السلام ــ احدثه وقد اجتمع اليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، اذ دخل عليه رجل طوال ادم فقال له: السلام عليك يا ابن رسول الله رجل من محبيك ومحبي ابائك واجدادك ــ عليهم السلام ــ مصدري من الحج

---

(١) بحار الانوار / ج ٤٩ ــ ص ٩٧

(٢) المصدر / ص ١٠٠

وقد افتقدت نفقتي وما معي ما ابلغ به مرحلة، فان رأيت ان تنهضني الى بلدي ولله علي نعمة، فاذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك، فلست موضع صدقة **فقال له: اجلس رحمك الله**، واقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا، وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وانا، فقال: **تأذنون لي في الدخول؟** فقال له: **يا سليمان قدم الله امرك**، فقام فدخل الحجرة وبقي ساعة ثم خرج ورد الباب واخرج يده من اعلى الباب وقال: اين الخراساني؟ فقال: ها انا ذا فقال: **خذ هذه المأتي دينار واستعن بها في مؤنتك ونفقتك وتبرك بها ولا تصدق بها عني، واخرج فلا اراك ولا تراني.**

ثم خرج فقال سليمان: جعلت فداك لقد اجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال:

مخافة ان ارى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته
اما سمعت حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ: «المستتر بالحسنة، تعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له» اما سمعت قول الاول:
متى آته يوما لأطلب حاجة رجعت الى اهلي ووجهي بمائه. (١)

وقد اعطى ابا نواس ثلاثمأة درهم لم يكن عنده سواها وقدم اليه بغلته

---

(١) المصدر/ ص ١٠١ (س ٦ ــ ٢٠).

التي كان يمتطيها، وحينما اعطى دعبل الخزاعي ستمأة دينار اعتذر اليه.

وكان كثير الصدقة في السر واكثرها كان في الليالي المظلمة. (١) وكان عليه السلام مكتمل الجسم عظيم الهيبة. وكأين من ذي حاجة دخل عليه ليطلبها منه فشغله جلاله وهيبته عنها فبادره الامام بقضائها وسنذكر جانبا من ذلك عن بيان علمه.

• هكذا افاض الامام علمه:

اربعة من ائمة الهدى تسنى لهم نشر معارف الاسلام في الافاق. اولهم الامام امير المؤمنين واخرهم الامام الرضا والصادقان محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم جميعا صلوات الله.

وبالرغم من ان جميع ائمة الهدى نشروا العلم الا ان الظروف ساعدت هؤلاء الاربعة على ذلك اكثر من الاخرين.

ولقد سبق الحديث ــ ببعض التفصيل ــ عن علم الائمة ومصادره المتنوعة فيما سردته من حياة الامام الباقر فنكتفي بذلك وانما نشير الى افاق العلم التي تناولها احاديث الامام الرضا ــ عليه السلام ــ ونقل عن اليقطيني انه قال: لما اختلف الناس في امر ابي الحسن الرضا جمعت من مسائله مما سئل عنه

---

(١) المصدر / ص ١١٠

واجاب عنه خمس عشرة الف مسألة.(١)

ولقد قال الامام مرة:

كنت اجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فاذا اعيا الواحد منهم عن مسألة اشاروا الى باجمعهم وبعثوا الي بالمسائل فاجيب عنها.(٢)

وقد بدأ بالفتيا في مسجد الرسول وعمره الشريف نيف وعشرون عاما.

ولنعرف دور الامام الرضا في هذا الحقل لابد ان نعود قليلا الى الوراء، لنعرف ان الحزب العباسي الذي تسلط على رقاب المسلمين بعد الفراغ السياسي الذي احدثه غياب السلطة الاموية ــ ان هذا الحزب وجد نفسه امام تيارات سياسية معارضة تعتمد على الفكر وتتسلح بالنظريات الثقافية وفي طليعتها التيار العلوي الذي كان يقود المعارضة السياسية الى جنب قيادة الساحة الفكرية فلم يجد الحزب العباسي الذي كان يعيش خواءا نظريا قاتلا حيلة الا البحث عن مصادر خارجية للثقافة فشجع حركة الترجمة وتوجه الى الكتب الفلسفية قبل الكتب العلمية و بنشاط هذه الحركة حدثت في الامة اضطراب فكري وتوتر ثقافي مما اضحى يهدد وحدة الامة.

وكانت عوامل شتى تساهم في هذا الخطر:

---

(١) المصدر / ص ٩٧

(٢) المصدر / ١٠٠

اولا: انشغال المفكرين بالقضايا السياسية

ثانيا : ازدياد الاضراب السياسي والحروب الداخلية التي تجر بطبيعتها الامة الى المزيد من التوتر الفكري.

ثالثا : وجود تيارات غريبة عن الامة كان هدفها افساد ثقافة المجتمع ومحاربة الاسلام باسم الاسلام والتي كانت تغذيها حركات سياسية متصلة بالكفار.

وفي عهد المأمون العباسي بلغ الاضطراب الفكري قمته مما دفع الامام الرضا (ع) بالتصدي لها.

وقد ساعده في ذلك انتقاله الى حاضرة البلاد الاسلامية، وقبوله لولاية العهد مما جعله في قلب الصراعات الفكرية.

وهكذا كثرت حواراته مع سائر الملل والمذاهب مما جعل بعلمائنا الكرام افراد كتب حول ماروي عنه عليه السلام مثل مافعل الصدوق رحمه الله في كتابه عيون اخبار الرضا.

وحينما نتدبر في كلمات الامام الرضا وحججه التي القاها على خصوم الاسلام او مخالفين المذهب نراها تتسم بمنهجية علمية عميقة. مما يدل على مستوى الثقافة في عصره لان الائمة ــ كما الانبياء عليهم جميعا صلوات الله ــ انما يكلمون الناس على قدر عقولهم، وبمستوى افكارهم.

كذلك نستوحي من التأمل في كلماته انها كانت تصد تشكيكات يبثها

الاعداء حول الاسلام و بالذات حول عقلانية أحكامه، من هنا كثر حديثه عن علل الشرائع، والحكم التي وراء احكام الدين.

كما ان طائفة من كلماته المضيئة تعالج الشؤون الحياتية مثل رسالته الطبية المعروفة بطب الرضا ــ عليه السلام ــ.

ومما يميز حياة الامام الرضا العلمية ان كلماته كانت تلقى قبولا في كافة الاوساط الاسلامية ولعل ورود مدينة نيسابور التي كانت من الحواضر العلمية في العالم الاسلامي اقول انها تعكس مدى اهتمام علماء الاسلام باحاديث الامام دعنا نستمع الى هذه القصة الطريفة:

(لما دخل الى نيسابور في السفرة التي فاض فيها بفضيلة الشهادة كان في مهد على بغلة شهباء عليها مركب من فضة خالصة، فعرض له في السوق الامامان الحافظان للاحاديث النبوية ابوزرعة ومحمد ابن اسلم الطوسي رحمهما الله فقالا: ايها السيد ابن السادة، ايها الامام وابن الائمة ايها السلالة الطاهرة الرضية، ايها الخلاصة الزاكية النبوية بحق ابائك الاطهرين واسلافك الاكرمين الا اريتنا وجهك المبارك الميمون، وروي لنا حديثا عن ابائك عن جدك، نذكرك به.

فاستوقف البغلة، ورفع المظلة، واقر عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة، فكانت ذؤابتاه كذوابتي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ والناس على طبقاتهم قيام كلهم وكانوا بين صارخ و باك وممزق ثوبه، ومتمرغ في التراب، ومقبل حزام بغلته ومطول عنقه الى مظلة المهد، الى ان انتصف النهار،

وجرت الدموع كالانهار وسكنت الاصوات، وصاحت الائمة والقضاة.

معاشر الناس اسمعوا وعوا، ولا تؤذوا رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ في عترته، وانصتوا فاملى صلوات الله عليه هذا الحديث وعد من المحابر اربع وعشرون الفا سوى الدوي، والمستملي ابو زرعة الرازي ومحمد بن اسلم الطوسي رحمهما الله فقال ــ عليه السلام ــ :

حدثني ابي موسى بن جعفر الكاظم، قال: حدثني ابي جعفر بن محمد الصادق قال: حدثني ابي محمد بن علي الباقر، قال: حدثني ابي علي بن الحسين زين العابدين، قال: حدثني ابي الحسين بن علي شهيد ارض كربلاء قال: حدثني ابي امير المؤمنين علي بن ابي طالب شهيد ارض الكوفة، قال: حدثني اخي وابن عمي محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ قال: حدثني جبرئيل ــ عليه السلام ــ قال: سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول:

(كلمة لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي).

صدق الله سبحانه وصدق جبرئيل ــ عليه السلام ــ وصدق رسول الله والائمة ــ عليهم السلام ــ.

قال الاستاذ ابو القاسم القشيري ان هذا الحديث بهذا السند بلغ، بعض

امراء السامانية فكتبه بالذهب واوصى ان يدفن معه فلما مات رئي في المنام فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله لي بتلفظي بلا اله الا الله وتصديقي محمدا رسول الله مخلصا واني كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيما واحتراماً.(١)

(١) بحار الانوار / ج / ص ١٢٦ — ١٢٧

• الفصل الثاني :

■ الامام وعصره

عاش الامام عصرين مختلفين فبينما كان عهد هارون الرشيد من اقسى العهود على آل البيت، حيث قرأنا عما في سيرة الامام الكاظم ــ عليه السلام ــ كيف ضيق العباسيون على شيعة اهل البيت وكيف اذوا الامام وهجروه عن دار امنه عند قبر جده الى البصرة ثم بغداد حيث وضعوه اما تحت الاقامة الجبرية، واما في قعر السجون المظلمة حتى دسوا اليه السم، فمات شهيدا مظلوما.

وخلال السنين الاربع الاولى من عهد امامته تجرع الامام كوالده غصص الالم. وهناك قصتان تعكسان طبيعة هذه الغصص:

١) يروي ابو الصلت الهروي كان الرضا ذات يوم جالسا في منزله اذ دخل عليه رسول هارون الرشيد فقال: اجب امير المؤمنين فقام فقال لي:

يا ابا الصلت انه لايدعوني في هذا الوقت الا لداهية، فوالله لايمكنه ان يعمل بي شيئا اكرهه

لكلمات الرشيد وقعت الي من جدي رسول الله

قال فخرجت معه حتى دخلنا على هارون الرشيد فلما نظر اليه الرضا قرأ هذا الحرز (وذكره) فلما وقف بين يديه نظر اليه هارون الرشيد وقال : يا ابا الحسن قد امرنا لك بمأة الف درهم واكتب حوائج اهلك فلما ولي عنه علي بن موسى وهارون ينظر اليه في قفاه قال : (اردت واراد الله وما اراد الله خير). (١)

وقد اشار يحيى البرمكي على هارون بقتل الامام الرضا كما اشار غيره بذلك فاستعظم الامر وقال ماترى تريد ان اقتلهم كلهم.

٢) والقصة الثانية تلك التي رو يناها سابقا عن دخول الجلودي على الامام وسلبه اهله. حتى هلك هارون، وشب الخلاف بين ورثته، بدء الامام نشاطه بقدر من الحرية النسبية.

لقد وصى هارون لثلاثة من ابنائه بولاية العهد الامين والمأمون والمؤتمن بالترتيب ولمعرفته بميول العباسيين الى الامين الذي كانت والدته زبيده ترعاه خشي على المأمون الذي كان يرى فيه كفاءة اكثر لأدارة البلاد فمنحه بعض المناصب في الدولة..

وكانت ميول الفرس الذين كانوا لايزالون متنفذين في الدولة العباسية بالرغم من نكبة البرامكة كانت نحو المأمون لان امه منهم ولانه تربى في احضانهم.

من هنا كانت سحب الفتنة تتجمع في سماء الامة وعجل هلاك هارون

(١) بحار الانوار / ج ٤٩ / ص ١١٦

في خراسان في وقت مبكر وقبل ان يرتب اوضاع البلاد، في اشتعال نار الفتنة، كما ان مرافقة المأمون لوالده التي جاءت ــ حسب بعض الروايات ــ باشارة من فضل بن سهل ساهمت فيها.

لقد سارع الامين وربما باشارة من بعض قواده العباسيين في خلع اخيه ونصب ابنه وليا للعهد وكان من الطبيعي ان يرفض المأمون مما حدى بالامين الى بعث بعض قواده ليأتون به مغلولا.

وقد شجع المأمون بعض قادة جيشه ولاسيما من الفرس على التمرد ففعل وانتهى الى الحرب بين الاخوين التي انتهت بخلع، الامين واستتب الامر لأخيه.

وكانت هذه الحرب اول حرب بين العباسيين ومن اسوء الحروب الداخلية بين المسلمين. مما زعزع الثقة بالنظام السياسي عند الجماهير وشجع المعارضة على الثورة، فاذا باطراف البلاد تنتفض وتخلع الحاكم وتبايع واحداً من العلويين.

وكانت اخطر واعظم هذه الثورات حركة ابي السرايا في الكوفة التي قادها السري بن منصور وعقدت لواء الزعامة لواحد من ابناء الامام الحسن المجتبى ــ عليه السلام ــ واسمه محمد بن ابراهيم بن اسماعيل.

وانتشرت هذه حتى شملت الكوفة والواسط والبصرة والحجاز واليمن. ووقعت بينها وبين جيوش بني العباس معارك طاحنة لم يظفر العباسيون بها

الا بالحيلة والمكر.(١)

وفي مكة المكرمة ثار محمد بن الامام جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ وبويع بالخلافة ولقب بـ (امير المؤمنين).

وكانت هناك ثورات اخرى في بلاد الشام والمغرب وكلها تدل على اضطراب الوضع السياسي حتى ان الناس لم يبايعوا المأمون الا بعد ان استتب الامر له، وعاد الى بغداد وبعد حروب اكلت مئات الالوف من المسلمين.

وكان عصر المأمون يتميز ــ كما اشرنا سابقا ــ بتنامي التيارات الفكرية الغربية التي كان من شأنها زعزعة النظام الثقافي للامة، وكانت نتيجة طبيعة لحركة الترجمة التي شجعها العباسيون من دون رؤية.

كما ان الثقة عند قيادات الجيش العماد الاصلي للنظام كادت تنهار حتى قال هرثمة بن حازم (احد قيادات العسكر) للمأمون:

يا امير المؤمنين لن ينصحك من كذبك، ولن يغشاك من صدقك، لاتجرىء القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك.(٢)

ولعلنا نضيف الى كل ذلك حالة المجون والترف التي اشتهرت بين رجال الدولة وبطانتهم والتي كان يشجعها النظام لالهائهم عن الحقائق المرة التي

---

(١) راجع التاريخ الاسلامي .. دروس وعبر (للمؤلف) / ص ٢٩٠ ــ ٢٩٦

(٢) التاريخ الاسلامي (للمؤلف) عن تاريخ المسعودي / ج ٣ ــ ص ٣٨٩

يعيشها المسلمون. واذا كان آل برمك بالامس ابطال هذا الميدان فان آل سهل خلفوهم فيه، وما يذكره بعض المؤرخين عن زواج الخليفة ببوران وما رافقه من مظاهر البذخ والترف شاهد على ذلك.

● الامام الرضا يتحدى الفساد:

حينما نتدبر في سورة هود او سائر السور القرآنية التي تقص علينا رسالة الانبياء السابقين ــ عليهم السلام ــ نجد انهم يتحدون الفساد بكل الوانه. وبالذات الفساد الذي كان مستشريا في قومهم، و يعتبرون كل فساد سياسي او اجتماعي او اقتصادي او فكري ينتهي الى الضلالة او الشرك او الكفر وكانوا ــ عليهم السلام ــ يذكرون الناس بالله ويحذرونهم عذابه في الدنيا وعقابه في الاخر لان هذا هو السبيل لاصلاح الانسان وردعه عن الفساد بكل الوانه.

وسار الائمة ــ عليهم السلام ــ على طريق الانبياء، وحاربوا كل الوان الفساد، بذات الوسيلة والامام الرضا ــ عليه السلام ــ كما اجداده قاد المخلصين من ابناء الامة في هذا السبيل وتحمل الاذى في سبيل الله.

لقد رفض الاعتراف بالسلطة الجاهلية التي بناها العباسيون باسم الاسلام واعتبرها سلطة غاصبة ظالمة فاسدة جملة وتفصيلا.

وناهض التيارات الفكرية المخالفة لاصول الشريعة وقاوم الفساد الخلقي

في الامة من تعاليم الدين الحنيف.

ولم يكن الامام وحده في مواجهة ذلك الفساد العريض بل كانت صفوة الامة وخيرة العلماء والحكماء والقادة المخلصين وهم شيعة اهل البيت ــ عليهم السلام ــ يتبعونه في ذلك.

وقد قرأنا معا كيف و بأي اسلوب كان الائمة يقودون الامة وذلك فيما سبق وان كتبناه من حياة الائمة الطاهرين ــ عليهم السلام ــ من قبل.(١)

ولكن هنا ينبغي ان نتحدث قليلا عما اثار التساؤل عند المؤرخين وهي نقطة مضيئة ــ في رأينا ــ تلمع في حياة الامام الرضا ومنعطف اساسي في حركة الشيعة وهي قبول الامام بولاية عهد المأمون.

وقبل كل شيء نتساءل عن الاسباب التي دفعت الخليفة العباسي للاقدام على هذه الخطوة الجريئة.

• المأمون يتقرب للامام:

هل كان المأمون الذي ولد من ام فارسية، وتربى في حجر المؤيدين للبيت العلوي وعرف الكثير من تاريخ الاسلام وتبحر في علم الكلام هل كان شيعيا، وهل كان عهده الى الامام الرضا بدافع سليم ثم انقلب شيئا عن ذلك ودس السم الى الامام لان الملك ــ كما قال والده هارون له يوما ــ عقيم وانه لو

(١) وقد تحدثنا عن ذلك ايضا في محاضراتنا عن «التاريخ الاسلامي .. دروس وعبر».

نازعه فيه لأخذ الذي فيه عيناه؟

ام كانت خطة دبرها الفضل بن سهل وغيره من بطانته ووقع فيها من دون التفات ثم عاد عنها وقتل الفضل غيلة في الحمام وقضى على الامام بالسم؟

ام انها كانت خطته اشرك فيها وغيره من القادة، وكانت مجرد لعبة سياسية؟

كل ذلك ممكن؟ ولم اجد فيما اطلعت عليه من التاريخ مايدل على واحد من الاحتمالات بالتأكيد على اني اميل الى الاعتراف بكل العوامل التاريخية، واخذها بعين الاعتبار عند تفسير ظاهرة معينة لان مثل هذه العوامل تتفاعل مع بعضها في حياتنا وتصنع من حيث المجموع حياتنا الحاضرة فلماذا لانعتقد ان الماضي كالحاضر تصنعه كل العوامل المؤثرة في حياة البشر.

من هنا اميل الى الرأي التالي.. ان كلا من خلفية المأمون الثقافية، والظروف السياسية، ورأي بطانته اقرت في الاقدام على هذه الخطوة الجريئة ولولا واحدة منها لم يقدم..

وهذا يعني ان انقلاب المأمون على الامام الرضا ــ عليه السلام ــ جاء بعد تحول الظروف السياسية ــ وان الرجل لم يكن شيعيا بالمعنى الحقيقي للكلمة. وهو اتباع اهل البيت والتعبد لله في طاعته انما كان متأثرا ببعض الافكار الشيعية كتفضيل امير المؤمنين ــ عليه السلام ــ على غيره من الخلفاء، والاعتقاد بخيانة معاوية، وبأن القرآن كتاب محدث وما اشبه.

الا ان ذلك لايجعل الفرد شيعيا في نظر الائمة ــ عليهم السلام ــ وهو بالتالي كان صاحب سلطة يبحث عنها أكثر مما يبحث عن المبادىء والقيم .

ولعل والده هارون كان يشير الى ابنه والى خواص أهل بيته مايشير الطغاة عادة الى بطانتهم من الاعتراف بحق معارضيهم وذلك عندما تستيقظ ضمائرهم ولو لفترة محدودة .

وهكذا يروي المأمون انه انما يستشيع على يد والده و ينقل قصة لاداعي لذكرها . ولعل المأمون كان يلفق مثل هذه القصص لاقناع بني العباس بصوابية رأيه .

وقد أسر المأمون الى بعض خواصه السبب الذي دعاه الى هذا الامر نقرأه معا في الرواية التالية :

عن الريان بن الصلت قال : اكثر الناس في بيعة الرضا ــ عليه السلام ــ من القواد والعامة ، ومن لايحب ذلك ، وقالوا : ان هذا من تدبير الفضل بن سهل ذي الرئاستين ، فبلغ المأمون ذلك فبعث الي في جوف الليل فصرت اليه فقال : ياريان بلغني ان الناس يقولون : ان بيعة الرضا ــ عليه السلام ــ كانت من تدبير الفضل بن سهل ؟ فقلت : يا امير المؤمنين يقولون هذا قال : ويحك ياريان ايجسر احد ان يجيى الى خليفة قد استقامت له الرعية والقواد ، واستوت له الخلافة فيقول له ادفع الخلافة من يدك الى غيرك ايجوز هذا في العقل ؟ قلت له : لا والله يا امير المؤمنين مايجسر على هذا احد ، قال : لا والله ما كان كما يقولون ولكن سأخبرك بسبب ذلك .

انه لما كتب الي محمد اخي يأمرني بالقدوم عليه، فابيت عليه عقد لعلي ابن عيسى بن ماهان وامره ان يقيدني بقيد ويجعل الجامعة في عنقي فورد علي بذلك الخبر، وبعثتُ هرثمة بن اعين الى سجستان وكرمان وما والاهما فافسد علي امري، وانهزم هرثمة وخرج صاحب السرير، وغلب على كور خراسان، من ناحيته، فورد علي هذا كله في اسبوع.

فلما ورد ذلك علي لم يكن لي قوة بذلك ولا كان لي مال اتقوى به، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن، اردت ان الحق بملك كابل، فقلت في نفسي: ملك كابل رجل كافر و يبذل محمد له الاموال فيدفعني الى يده، فلم اجد وجها افضل من ان اتوب الى الله عزوجل من ذنوبي واستعين به على هذه الامور واستجير بالله عزوجل فامرت بهذا البيت واشار الى بيت تكنس، وصببت علي الماء، ولبست ثوبين ابيضين وصليت اربع ركعات قرأت فيها من القرآن ما حضرني ودعوت الله عزوجل واستجرت به، وعاهدته عهدا وثيقا بنية صادقة ان افضى الله بهذا الامر الي وكفاني عاديته، وهذه الامور الغليظة، ان اضع هذا الامر في موضعه الذي وضعه الله عزوجل فيه.

ثم قوي فيه قلبي فبعثت طاهرا الى علي بن عيسى بن هامان فكان من امره ما كان، ورددت هرثمة الى رافع (بن اعين) فظفر به وقتله، و بعثت الى صاحب السرير فهادنته و بذلت له شيئا حتى رجع فلم يزل امري يقوي حتى كان من امر محمد ما كان، وافضى الله الي بهذا الامر، واستوى لي.

فلما وافى الله عزوجل لي بما عاهدته عليه، احببت ان افي الله تعالى بما عاهدته، فلم ار احدا احق بهذا الامر من ابي الحسن الرضا ــ عليه

السلام ــ، فوضعتها فيه فلم يقبلها الا علي ما قد علمت، فهذا كان سببها).(١)

ولعل هذا السبب كان ايضا من الدواعي المساعدة، الى ان ابرز العوامل التي دفعته الى ذلك كانت الظروف السياسية التي اشرنا اليها حيث كانت علاقته بالعباسيين سيئة لقتله اخاه امينا، كما ان القيادات العربية لم تكن راضية عنه بسبب تفضيله الصارخ للقيادات الفارسية اما انصار البيت العلوي فقد رأوا ووجدوا الفرصة مواتية للانتقام من السلطة العباسية الغاشمة، وانتفضوا في كل مصر. فماذا بقي له من فرص الاستمرار في السلطة؟

ولكن محصلة خطط المأمون والاقدار التي اجرت الرياح في اتجاهه كانت التالية:

١ ــ اكتساب ود انصار البيت العلوي باستقدام الامام الرضا لولاية عهده.

٢ ــ تصفية الثورات لكثير من الاعمال العسكرية و بقدر من السماحة والعطاء.

٣ ــ الالتفاف على العباسيين واكتساب ودهم والعودة الى خطهم بعد تصفية الفضل بن سهل، وشهادة الامام الرضا ــ عليه السلام ــ.

وهكذا تسنى للمأمون ان يستمر في الحكم وان يحافظ على العرش العباسي من بعده.

---

(١) المصدر / ص ١٣٧ ــ ١٣٨ (الى نصف الصفحة).

● **الامام يستجيب للتحدي :**

لماذا قبل الامام الرضا ــ عليه السلام ــ ولاية عهد المأمون واذا كان مضطرا الى ذلك فكيف استجاب لتحديه .

قبل ان نجيب عن هذا السؤال لابد ان نلقي نظرة الى واقع الحركة الرسالية عندما تولى الرضا مركز الامامة من بعد والده الامام الكاظم ــ عليه السلام ــ .

في حديث شريف : كان من المقدر ان يكون الامام موسى بن جعفر هو قائم آل محمد صلى الله عليه واله الا ان الشيعة اذاعوا الامر فبدا لله فتأخر الى اجل غير مسمى .

وهذا يعني ان الحركة الرسالية كادت تبلغ يومئذ الى مستوى التصدي لشؤون الامة . وبالرغم من ان الامام الكاظم قضى نحبه في سجن هارون مسموما الا ان الحركة لم تصب باذى كثير كما نستفيد ذلك من حديث شريف .

وهكذا كانت امامة الامام الرضا ــ عليه السلام ــ واحدة من فرصتين الاولى : القيام بحركة مسلحة قد تنتهي الى دمار الحركة :الثانية : الاستجابة لتحدي المأمون بقبول ولاية العهد للعمل من خلال السلطة دون اعطاء شرعية لها ، كما فعل النبي يوسف حينما طلب من عزيز مصر بأن يجعله على خزائن الارض . ثم قام بما استطاع اليه سبيلا من الاصلاح من داخل النظام ..

وكما فعل مثل ذلك الامام امير المؤمنين ــ عليه السلام ــ بقدر او باخر مع الخلفاء الذين سبقوه .. وبالذات عندما قبل بالدخول في الشورى كواحد من ستة اعضاء .

واقل ما كانت في هذه الفرصة الثانية :

حماية الحركة الرسالية من التصفية ، والقبول بها كحركة معارضة رسمية .

وهكذا نعرف ان الامام لم يترك قيادته للحركة الرسالية ــ بل واستفاد من مركزه الجديد كما استفاد الشيعة لدعم مسيرة حركتهم الرسالية التي فرضت نفسها على النظام فرضا .

ولتحقيق هذه الغايات اتبع الامام النهج التالي :

اولا: امتنع عن قبول الخلافة التي عرضها عليه المأمون اولا . وقال له ذلك ، ولعل السبب في رفض الخلافة كان امرين :

الف : ان تلك الخلافة كانت ثوبا خاصا بامثال المأمون وانها لا تليق بحجة الله البالغة لان بنائها كان قائما على اساس فاسد ، جيشها نظامها قوانينها وكل شيء فيها ، ولو قبل الامام كان عليه ان يهدمها و يبنيها من جديد ولم يكن ذلك امرا ممكنا في تلك الظروف .

باء ــ ان المأمون لم يكن صادقاً في عرضه وانه كان يدبر حيلة هو وحزبه الماكر للأيقاع بالامام ان قبل بعد اخذ الشرعية منه ، كما فعل بالنسبة الى ولاية العهد .

ثانيا : اشترط في قبوله لولاية العهد الا يتدخل في شؤون الدولة من قريب او بعيد، مما افقدهم القدرة على تمشية الامور باسم الامام وكسب الشرعية له وابان للعالمين ذلك اليوم. وللتاريخ الى الابد انه لا يعترف بشرعية النظام باي وجه. وقد حاول المأمون مرارا ان يستدرج الامام للتدخل في الشؤون فلم يقبل والحديث التالي يدل على ذلك :

ان المأمون لما اراد ان يأخذ البيعة لنفسه بامرة المؤمنين، وللرضا ــ عليه السلام ــ بولاية العهد، وللفضل ابن سهل بالوزارة، امر بثلاثة كراسي فنصبت لهم، فلما قعدوا عليها اذن للناس فدخلوا يبايعون فكانوا يصفقون بايمانهم على ايمان الثلاثة من اعلى الابهام الى الخنصر ويخرجون، حتى بايع في اخر الناس فتى من الانصار فصفق بيمينه من الخنصر الى الابهام، فتبسم ابو الحسن الرضا ــ عليه السلام ــ ثم قال :

« كل من بايعنا بايع بفسخ البيعة غير هذا الفتى فانه بايعنا بعقدها ».

فقال المأمون: وما فسخ البيعة من عقدها ؟ قال ابو الحسن ــ عليه السلام ــ :

عقد البيعة هو من اعلى الخنصر الى اعلى الابهام وفسخها من اعلى الابهام الى اعلى الخنصر

قال : فماج الناس في ذلك وامر المأمون باعادة الناس الى البيعة على ماوصفه ابو الحسن ــ عليه السلام ــ وقال الناس : كيف يستحق الامامة من

لايعرف عقد البيعة ان من علم لأ ولى بها ممن لايعلم، قال : فحمله ذلك على ما فعله من سمه. (١)

ثالثا : منذ الايام الاولى لولايته للعهد انتهز الامام كل فرصة ممكنة لنشر بصائر الوحي واظهر انه احق بالخلافة من غيره، فمثلا نقرء في وثيقة ولايته للعهد مايدل على ان المأمون انما عمل بواجبه في الاحتفاء باهل بيت الرسالة دعنا نقرء ونتدبر معا الوثيقة التالية :

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لامعقب لحكمه، ولاراد لقضائه، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين

اقول وانا علي بن موسى بن جعفر ان امير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل ارحاما قطعت، وآمن نفوسا فزعت، بل احياها وقد تلفت، واغناها اذ افتقرت، مبتغيا رضى رب العالمين لايريد جزاء من غيره، وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع اجر المحسنين.

وانه جعل الي عهده، والامرة الكبرى ان بقيت

---

(١) المصدر / ص ١٤٤ (س ١ ــ ١٠)

بعده، فمن حل عقدة امر الله بشدها وقصم عروة احب الله ايثاقها فقد اباح حريمه، واحل محرمة، اذ كان بذلك زاريا على الامام، منتهكا حرمة الاسلام، بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العزمات خوفا شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب امر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز، وبائقة تبتدر.

وقد جعل لله على نفسي ان استرعاني امر المسلمين، وقلدني خلافته، العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته وطاعة رسوله ــ صلى الله عليه واله ــ وان لا اسفك دما حراما ولا ابيح فرجا ولا مالا الا ما سفكته حدوده، واباحته فرائضه وان اتخير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهد مؤكدا يسئلني الله عنه فانه عزوجل يقول:

« وافوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا ».

وان احدثت او غيرت اوبدلت كنت للغير مستحقا، وللنكال متعرضا واعوذ بالله من سخطه، واليه ارغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك، وما ادري ما

يفعل بي، ولابكم ان الحكم الا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين.

لكني امتثلت امر امير المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمني واياه، واشهدت الله على نفسي بذلك، وكفى بالله شهيدا). (١)

وهناك بصائر نستوحيها من كلمات الرضا المضيئة:

اولا: قوله عليه السلام:

«عرف من حقنا ما جهله غيره الخ»

حيث عرض بهارون والد المأمون و بالنظام العباسي كله الذين لم يرعوا حرمة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ.

ثانياً: انه قال: **فمن حل عقدة امر الله بشدها** الخ، اشارة الى خبث، السرائر، وحبك المؤامرات ضد الولاية.

ثالثاً: قوله: **بذلك جرى السالف الى اخره** لعله اشارة الى سكوت الامام امير المؤمنين عن جهة او صبر الائمة على الاذى خوفا على شتات الدين واضطراب حبل المسلمين.

رابعاً: ثم بيان برنامجه للحكم الذي يخالف ما كان عليه عامة بني العباس و بضمنهم المأمون ذاته.

---

(١) المصدر/ ص ١٥٢ ــ ١٥٣

خامساً : وقال اخيرا : **والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك،** حيث بين بذلك انهم اصحاب علم رسول الله وانهم احق بالامر منهم .

وعندما تهيىء الناس للبيعة لفت الامام نظره الى ان طريقتهم للبيعة خاطئة مما اثار زوبعة في الناس دعنا نستمع الى الحديث التالي :

(**يا ابا الحسن انظر بعض من تثق به توليه هذه البلدان التي قد فسدت علينا ، فقلت له : تفي لي وأفي لك فاني انما دخلت فيما دخلت على ان لا امر فيه ولا انهى ، ولا اعزل ولااولي ولا اسير حتى يقدمني الله قبلك ، فوالله ان الخلافة لشيء حدثت به نفسي ، ولقد كنت بالمدينة اتردد في طرقها على دابتي وان اهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فاقضيها ، لهم ، فيصيرون كالاعمام لي وان كتبي لنافذة في الامصار ، ومازدتني في نعمة هي علي من ربي فقال :** افي لك) .(١)

وكانت من اعظم مابين فضل الامام مجالس المحاجة التي كان يعقدها بين فترة واخرى تعالوا معا نحضر واحدا من هذه المجالس لنرى ماذا يدور فيها :

(قال الحسن بن محمد النوفلي : فبينا نحن في حديث لنا عند ابي الحسن الرضا ــ عليه السلام ــ اذ دخل علينا ياسر ، وكان يتولى امر ابي الحسن

---

(١) المصدر / ص ١٤٤ (س ٩ ــ ٢٠).

ـ عليه السلام ـ فقال : ،ياسيدي ان اميري يقرئك السلام و يقول : فداك اخوك انه اجتمع الي اصحاب المقالات ، واهل الاديان والمتكلمون من جميع الملل ، فرأيك في البكور علينا ان احببت كلامهم ، وان كرهت ذلك فلا تتجشم وان احببت ان نصير اليك خف ذلك علينا ، فقال ابو الحسن ـ عليه السلام ـ

ابلغه السلام وقل له : قد علمت ما اردت ، وانا صائر اليك بكرة انشاء الله تعالى) .(١)

ثم بين الامام ما يدل على ان هدف المأمون من تشكيل مثل هذه المجالس ، النيل من قدر الامام حيث يظن انه قد يتوقف عن محاجة خصومه ولكن الامام قال للنوفلي (الراوي) .

: يانوفلي اتحب ان تعلم متى يندم المأمون ؟ قلت : نعم ، قال : اذا سمع احتجاجي على اهل التوراة بتوراتهم ، وعلى اهل الانجيل بانجيلهم ، وعلى اهل الزبور بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرانيتهم ، وعلى اهل الهرابذة بفارسيتهم ، وعلى اهل الروم برروميتهم ، وعلى : اصحاب المقالات بلغاتهم ، فاذا قطعت كل صنف ودحضت حجته ، وترك مقالته ورجع الى قولي ، علم المأمون ان الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له ، فعند ذلك تكون الندامة منه ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم) .(٢)

---

(١) المصدر / ص ١٧٤ (س ٥ ـ ١٣) .

(٢) المصدر / ص ١٧٥ (س ١ ـ ١٠)

ثم بين الحديث ــ بعد هذا الكلام ــ وضع الجلسة وقال :

(فلما دخل الرضا ــ عليه السلام ــ قام المأمون وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم فمازالوا وقوفا والرضا ــ عليه السلام ــ جالس مع المأمون حتى امرهم بالجلوس فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلا عليه يحدثه ساعة ثم التفت الى الجاثليق فقال : ياجاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر، وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي ابن ابي طالب ــ عليه السلام ــ فاحب ان تكلمه وتحاجه وتنصفه، فقال الجاثليق : يا امير المؤمنين كيف احاج رجلا يحتج علي بكتاب انا منكره، ونبي لا اومن به فقال الرضا ــ عليه السلام ــ

يا نصراني فان احتججت عليك بانجيلك اتقرّ به ؟

قال الجاثليق : وهل اقدر على دفع مانطق به الانجيل، نعم والله اقرّ به على رغم انفي . ثم قرأ الرضا ــ عليه السلام ــ عليه الانجيل،

واثبت عليه ان نبينا ــ صلى الله عليه واله ــ مذكور فيه ثم اخبره بعدد حواري عيسى ــ عليه السلام ــ واحوالهم، واحتج بحجج كثيرة اقرّ بها ثم قرأ عليه كتاب شعيا وغيره الى ان

قال الجاثليق : ليسألك غيري فلا وحق المسيح ماظننت ان في علماء المسلمين مثلك . اما رأيت ماجاء به صديقك لا والله ماظننت ان علي بن موسى خاض في شيء من هذا قط ولا عرفناه به، انه كان يتكلم بالمدينة او يجتمع اليه اصحاب الكلام ؟ قلت : قد كان الحجاج يأتونه فيسألنه عن اشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم، وربما كلم من يأتيه بحاجه .

فقال محمد بن جعفر : يا ابا محمد اني اخاف عليه ان يحسده هذا الرجل فيسمه او يفعل به بلية، فاشر عليه بالامساك عن هذه الاشياء قلت : اذا لا يقبل مني، وما اراد الرجل الا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم ابائه ــ عليه السلام ــ فقال لي : قل له : ان عمك قد كره هذا الباب، واحب ان تمسك عن هذه الاشياء لخصال شتى.

فلما انقلبت الى منزل الرضا ــ عليه السلام ــ اخبرته بما كان من عمه محمد بن جعفر فتبسم ــ عليه السلام ــ ثم قال :

حفظ الله عمي ما اعرفني به لم كره ذلك، ياغلام صر الى عمران الصابي فائتني به فقلت :

جعلت فداك انا اعرف موضعه وهو عند بعض اخواننا من الشيعة، قال : فلا بأس فرّبوا اليه دابة فصرت الى عمران فاتيته به فرحب به ودعا بكسوة فخلعها عليه وحمله ودعا بعشرة الاف درهم، فوصله بها.

فقلت : جعلت فداك حكيت فعل جدك امير المؤمنين ــ عليه السلام ــ **قال : هكذا يجب** ثم دعا ــ عليه السلام ــ بالعشاء فاجلسني عن يمينه واجلس عمران عن يساره، حتى اذا فرغنا **قال لعمران : انصرف مصاحبا وبكر علينا نطعمك طعام المدينة، فكان عمران بعد ذلك يجتمع اليه المتكلمون من اصحاب المقالات، فيبطل امرهم حتى اجتنبوه ووصله المأمون بعشرة الاف درهم، واعطاه الفضل مالا وحمله وولاه الرضا ــ عليه السلام ــ صدقات بلخ فأصاب الرغائب).(١)**

(١) المصدر / ص ١٧٥ ــ ١٧٧ (و ينبغي اختصار الموضوع قليلا)

وقصة استعداد الامام لصلاة العيد التي ارهبت النظام دليل اخر على ان الامام لم يترك فرصة الا واستفاد منها لاعلان دعوته و بيان انه الاحق بالخلافة من البيت العباسي.

(لما حضر العيد بعث المأمون الى الرضا ــ عليه السلام ــ يسأله ان يركب ويحضر العيد ويخطب لتطمئن قلوب الناس، و يعرفوا فضله، وتقرّ قلوبهم على هذه الدولة المباركة، فبعث اليه الرضا ــ عليه السلام ــ **وقال: علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الامر**، فقال المأمون: انما اريد بهذا ان يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الامر فتطمئن قلوبهم و يقرّوا بما فضلك الله تعالى به فلم يزل يراده الكلام في ذلك. فلما الح عليه **قال:**

يا امير المؤمنين ان اعفيتني من ذلك فهو احب الي وان لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله ــ صلى الله عليه واله ــ وكما خرج امير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ

قال المأمون: اخرج كما تحب. وامر المأمون القوّاد والناس ان يبكروا الى باب ابي الحسن ــ عليه السلام ــ فقعد الناس لابي الحسن ــ عليه السلام ــ في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان واجتمع القوّاد على باب الرضا ــ عليه السلام ــ

فلما طلعت الشمس قام الرضا ــ عليه السلام ــ فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن والقى طرفا منها على صدره، وطرفا بين كتفيه وتشمّر ثم قال لجميع مواليه: **افعلوا مثل ما فعلت** ثم اخذ بيده عكازة وخرج ونحن بين

يديه، وهو حاف قد شمّر سراويله الى نصف الساق وعليه ثياب مشمّرة.

فلما قام ومشينا بين يديه رفع رأسه الى السماء وكبر اربع تكبيرات فخيل الينا ان الهواء والحيطان تجاوبه، والقوّاد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيؤا باحسن هيئة، فلما طلعنا عليهم هذه الصورة حفاة قد تشمّرنا وطلع الرضا وقف وقفة على الباب وقال:

«الله اكبر الله اكبر الله اكبر على ماهدانا الله اكبر علىٰ مارزقنا من بهيمة الانعام والحمد لله على ماابلانا» ورفع بذلك صوته ورفعنا اصواتنا.

فتزعزعت مرو من البكاء والصياح، فقالها: ثلاث مرات فسقط القوّاد عن دوابهم، ورموا بخفافهم، لما نظروا الى ابي الحسن ــ عليه السلام ــ وصارت مرو ضجة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والضجة.

فكان ابو الحسن ــ عليه السلام ــ يمشي ويقف في كل عشرة خطوات وقفة يكبر الله اربع مرات فيتخيل الينا ان السماء والارض والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا امير المؤمنين ان بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس فالرأي ان تسأله ان يرجع، فبعث اليه المأمون فسأله الرجوع فدعا ابو الحسن ــ عليه السلام ــ بخفه فلبسه ورجع).(١)

---

(١) المصدر/ ص ١٣٤ ــ ١٣٥ / س ١٥

• الفصل الثالث

■ شهادته ومزاره

واخيرا دس اليه السم فمضى شهيدا شان سائر ائمة الهدى الذين جاء عنهم الحديث الشريف :

(ما منا الا مسموم او مقتول) .

ولكن من الذي فعل ذلك ؟ يرى طائفة كبيرة من العلماء ان المأمون كان وراء ذلك ، بينما يستبعد ذلك البعض و يتساءل عما اذا كان المأمون بهذا المستوى من الدناءة ان يلوث يده بهذه الجريمة النكراء ؟

وقد رأيت بعضهم قد ساق عشر ادلة على براءة المأمون عن دم سيدنا الامام الرضا ــ عليه السلام ــ ولكنها عند التمحيص تنتهي الى دليل واحد هو استبعاد وقوع تلك الجريمة من شخص نصب نفسه للدفاع عن افكار المذهب الشيعي ، وتبني افضلية الامام علي ــ عليه السلام ــ

ولكن اذا عرفنا ان المأمون العباسي كان واحدا من الخلفاء العباسيين الذين

تميز نظامهم بالغدر بانصارهم او الذين يخشون منهم من تابعيهم ابتداء من ابو مسلم الخراساني والى برمك وانتهاء بفضل بن سهل. وان المأمون كان متسنما قمة هرم ذلك النظام الذي قد بنيت مؤسساته على اساس البغي والمكر والغيلة. فما الذي يمنعه عن اتباع سيرة اسلافه، وممارسة جرائم اجداده؟

على ان عقائده في خلق القرآن اوتفضيل الامام علي على سائر الصحابة او ما اشبه لم تجعله من شيعة علي وآل علي ــ عليهم السلام ــ. لان استمراره في حكم المسلمين بذاته اكبر جريمة، واعظم ذنب، واعتى طغيان في منطق علي وشيعة علي. اذ انه نوع من ادعاء الربوبية ومنازعة الله في الالوهية!

ثم ان سيرته مع الناس من القتل والتنكيل ونشر الفساد بمختلف الوانه ان تلك السيرة تتنافى وابسط مبادىء التشيع لال البيت ــ عليهم السلام ــ. فماذا الذي يمنعه اذا من ارتكاب جريمة القتل..بحق آل بيت الرسالة.؟

واننا لنقرء في صفحات التاريخ مايهدينا الى ان شخص المأمون قد اشرف على عملية اغتيال الامام عبر جهازه السري الذي يشابه في ايامنا مخابرات قصر الامارة او الرئاسة في الدولة الاشد ديكتاتورية في العالم.

وقد جاءت هذه الخطوة بعد ان قمعت او هدأت ثورات العلويين في اطراف الارض وانتهت فلسفة استدعاء الامام الى خراسان. وبعد ان بدأت تتجمع الغيوم فوق بغداد وظهرت ارهاصات ثورة العباسيين، وازمع المأمون على العودة الى بغداد لاسترضاء بني عمه.. والعودة الى سيرة اجداده من لبس السواد وتوزيع المناصب على ذوي قرباه.

ولعل الحديث التالي يوضح هذه الحالة التي تنبه لها الامام الرضا ــ عليه السلام ــ واشار اليها للمأمون ربما ليعرف هذا الاخير ان الامام واقف على نواياه، وانه انما يسايره حسب المصلحة العامة.

قال الامام الرضا للمأمون يوما في حديث مفصل:

اتق الله يا امير المؤمنين في امور المسلمين وارجع الى بيت النبوة، ومعدن المهاجرين والانصار، ثم قال ارى ان تخرج من هذه البلاد، وتتحول الى موضع ابائك واجدادك، وتنظر في امور المسلمين، ولا تكلم الى غيرك فان الله عز وجل سائلك عما ولاك). (١)

ثم ان الفضل بن سهل تنبه الى ذلك ايضا فتراه يمتنع عن الرحيل مع المأمون و يعتذر في ذلك اليه بالقول: ان ذنبي عظيم عند اهل بيتك وعند العامة، والناس يلومونني بقتل اخيك المخلوع و بيعة الرضا ولاءاً من السعادة والحساد، واهل البغي ان يسعوا بي، فدعني اخلفك بخراسان). (٢)

ولكن المأمون يصد عليه بذلك اوليس قد دبر له امرا. انه لايريد اغتياله في معقل قوته و بين انصاره واعوانه بل في الطريق. وفعلا تقول الرواية فلما كان بعد ذلك (الحوار بين المأمون والفضل) ــ بأيام ونحن في بعض المنازل ــ دخل الفضل الحمام فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه، واجتمع القواد والجند ومن

---

(١) بحار/ ج ٤٩ ــ ص ١٦٥

(٢) المصدر

كان من رجال ذي الرئاستين على باب المأمون فقالوا : اغتاله وقتله فلنطلبن بدمه) . (١)

وهكذا تخلص المأمون من ابرز مراكز القوى داخل سلطته ، ولم يبق امامه الا الامام الرضا ــ عليه السلام ــ الذي تم اغتياله بعد ذلك بايام قلائل .. او لايدل قرب وفاته ــ عليه السلام ــ وقتل الفضل على وجود مؤامرة قذرة ضده .

هكذا يتأكد لنا ما يذهب اليه المشهور من العلماء الشيعة بان الامام استشهد بسم المأمون حسبما يقول العلامة المجلسي بقوله : الاشهر بيننا انه مضى شهيدا بسم المأمون ، ونضيف .. و ينسب الى السيد علي بن طاووس انه انكر ذلك . (٢)

دعنا نستمع الى نبأ شهادته من لسان المعاصرين :

الف / كان ابو الصلت الهروي من المعاصرين للامام ومن صانعي الاحداث او المراقبين لها عن كثب لصلته الوثيقة بالامام فيسأله احمد بن علي الانصاري عن سبب اغتيال المأمون للامام الرضا ــ عليه السلام ــ فيقول له :

(كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا ــ عليه السلام ــ مع اكرامه ومحبته له ، وماجعل له من ولاية العهد بعده ، فقال : ان المأمون انما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله ، وجعل له ولاية العهد من بعده ليري الناس انه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم ، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس الا ما ازداد

---

(١) المصدر / ص ١٦٩

(٢) المصدر / ص ٣١١

به فضلا عندهم ومحلا في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعا من ان يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء، و بسببهم يشتهر نقصه عند العامة.

فكان لايكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية ولاخصم من فرق المسلمين المخالفين له الا قطعه والزمه الحجة وكان الناس يقولون: والله انه اولى بالخلافة من المامون فكان اصحاب الاخبار يرفعون ذلك اليه فيغتاظ من ذلك و يشتد حسده، وكان الرضا ــ عليه السلام ــ لايحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في اكثر احواله فيغيظه ذلك، ويحقده عليه، ولايظهره له، فلما اعيته الحيلة في امره اغتاله فقتله بالسم). (١)

ب / و ينقل الشيخ المفيد ــ رضوان الله عليه ــ مجمل قصة شهادته مع بعض التفسير لاسباب غيض المأمون منه ــ فيقول:

(دخل الرضا ــ عليه السلام ــ يوما عليه فرآه يتوضأ للصلاة يصب الماء على يديه، فقال:

لا تشرك ياامير المؤمنين بعبادة ربك احدا

فصرف المأمون الغلام وتولى تمام وضوء نفسه وزاد ذلك في غيظه ووجده.

وكان ــ عليه السلام ــ يزري على الفضل والحسن ابني سهل عند المأمون، اذ ذكرهما و يصف له مساويهما و ينهاه عن الاصغاء الى قولهما،

(١) المصدر / ٢٩٠

وعرفا ذلك منه، فجعلا يخطئان عليه عند المأمون، و يذكران له عنده ما يبعده منه، ويخوفانه من حمل الناس عليه فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه، وعمل على قتله ــ عليه السلام ــ.

فاتفق انه اكل هو والمأمون يوما طعاما فاعتل منه الرضا ــ عليه السلام ــ واظهر المأمون تمارضا فذكر محمد بن علي بن حمزة، عن منصور بن بشر، عن اخيه عبدالله ابن بشر قال: امرني المأمون ان اطول اظفاري على العادة، ولا اظهر ذلك لاحد ففعلت، ثم استداعاني فاخرج الي شيئا يشبه التمر الهندي فقال لي: اعجن هذا بيديك جميعا ففعلت ثم قام وتركني ودخل على الرضا ــ عليه السلام ــ وقال له: ماخبرك؟

قال: ارجو ان اكون صالحا قال له:

انا اليوم بحمد الله ايضا صالح، فهل جاءك احد من المترفقين في هذا اليوم؟ **قال: لا،** فغضب المأمون وصاح على غلمانه ثم قال: فخذ ماء الرمان الساعة فانه مما لا يستغنى عنه، ثم دعاني فقال: ائتنا برمان فأتيته به، فقال لي: اعصر بيديك، ففعلت وسقاه المأمون الرضا ــ عليه السلام ــ بيده وكان ذلك سبب وفاته، فلم يلبث الا يومين حتى مات ــ عليه السلام ــ.

وذكر عن ابي الصلت الهروي انه قال: دخلت على الرضا ــ عليه السلام ــ وقد خرج المأمون من عنده،

فقال لي: يا ابا الصلت قد فعلوها، وجعل يوحد الله ويمجده.

وروي عن محمد بن الجهم انه قال : كان الرضا ــ عليه السلام ــ يعجبه العنب فأخذ له منه شيئا فجعل في موضع اقماعه الابر اياما ثم نزع وجيىء به اليه ، فأكل منه وهو في علته التي ذكرنا فقتله وذكر ان ذلك من لطيف السموم .

ولما توفي الرضا ــ عليه السلام ــ كتم المأمون موته يوما وليلة ، ثم انفذ الى محمد ابن جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ وجماعة آل ابي طالب الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه اليهم و بكى ، واظهر حزنا شديدا وتوجع واراهم اياه صحيح الجسد ، وقال : يعزّ علي يا اخي ان اراك في هذه الحال . قد كنت اؤمّل ان اقدم قبلك ، فأبى الله الا ما اراد .

ثم امر بغسله وتكفينه وتحنيطه ، وخرج مع جنازته فحملها حتى اتى الى الموضع الذي هو مدفون فيه الان فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سناباد على دعوة من نوقان من ارض طوس ، وفيها قبر هارون الرشيد وقبر ابي الحسن ــ عليه السلام ــ بين يديه في قبلته ، ومضى الرضا ــ عليه السلام ــ ولم يترك ولدا نعلمه الا ابنه الامام بعده اباجعفر محمد بن علي ــ عليه السلام ــ وكان سنّه يوم وفاة ابيه سبع سنين .(١)

ج / و يصف ياسر الخادم اللحظات الاخيرة من حياة الامام الرضا ــ عليه السلام ــ حيث تجلت فيها روحه الربانية وخلقه المحمدي فيقول :

(لما كان بيننا و بين طوس سبعة منازل اعتل ابو الحسن ــ عليه السلام ــ

---

(١) المصدر / ص ٣٠٨ (من س ٣) اى ص ٣٠٩ (س ١٢)

فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة ، فبقينا بطوس اياما فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين فلما كان في اخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفا في ذلك اليوم فقال لي بعد ماصلى الظهر :

ياياسر اكل الناس شيئا ؟

قلت : ياسيدي من يأكل ههنا مع ماانت فيه .

فانتصب ــ عليه السلام ــ ثم قال :

هاتوا المائدة ولم يدع من حشمه

احدا الا اقعده معه على المائدة يتفقد واحدا واحدا ، فلما اكلوا قال :

ابعثوا الى النساء بالطعام

فحمل الطعام الى النساء فلما فرغوا من الاكل اغمي عليه وضعف ، فوقعت الصيحة وجاءت جواري المأمون ونساؤه حافيا حاسرات ، ووقعت الوجبة بطوس وجاء المأمون حاسرا يضرب على رأسه ، و يقبض على لحيته ، و يتأسف و يبكي وتسيل الدموع على خديه فوقف على الرضا ــ عليه السلام ــ وقد افاق فقال : ياسيدي والله مادري اي المصيبتين اعظم على فقدي لك وفراقي اياك او تهمة الناس لي اني اغتلتك وقتلتك ، قال : فرفع طرفه اليه ثم قال :

احسن ياامير المؤمنين معاشرة ابي جعفر ، فان عمرك

وعمره هكذا وجمع بين سبابتيه). (١)

كما انه يصف الحوادث التي وقعت بعد وفاته مباشرة، فيقول :

(فلما كان من تلك الليلة قضى عليه بعد ما ذهب من الليل بعضه، فلما اصبح اجتمع الخلق وقالوا : هذا قتله واغتاله يعني المأمون وقالوا : قتل ابن رسول الله واكثروا القول والجلبة، وكان محمد بن جعفر بن محمد ــ عليه السلام ــ استأمن الى المأمون وجاء الى خراسان وكان عم ابي الحسن فقال له المأمون : يا ابا جعفر اخرج الى الناس واعلمهم ان ابا الحسن لايخرج اليوم وكره ان يخرجه فتقع الفتنة فخرج محمد بن جعفر الى الناس فقال : ايها الناس تفرّقوا فان ابا الحسن لايخرج اليوم، فتفرق الناس وغسل ابوالحسن في الليل، ودفن). (٢)

وبقي ضريح الامام الرضا ــ عليه السلام ــ مزارا يأمه شيعة اهل البيت ــ عليهم السلام ــ ومحبوهم لما اثر عن النبي ــ صلى الله عليه واله ــ واهل بيته من الترغيب في ذلك فقد روي عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ انه قال :

« ستدفن بضعة مني بأرض خراسان لايزورها مؤمن الا اوجب الله عزوجل له الجنة، وحرّم جسده على النار». (٣)

---

(١) المصدر / ص ٢٩٩ / س ٧ ــ ١٤

(٢) المصدر / ص ٢٩٩ (س ٢١) اى ص ٣٣٠ (س ٥).

(٣) المصدر / ص ٢٨٤

وروي عن الامام الصادق ــ عليه السلام ــ انه قال :

« يخرج ولد من ابني موسى اسمه اسم امير المؤمنين ــ عليه الصلاة والسلام ــ الى ارض طوس ، وهي خراسان يقتل فيها بالسم ، فيدفن فيها غريبا ، من زاره عارفا بحقه اعطاه الله تعالى اجر من انفق من قبل الفتح وقاتل ».(١)

وطفق الشعراء يرثونه بما يفتت كبد الحجر الما . كما اخذو بفضح اولئك الغدرة الذين اغتالوه بالسم فقال دعبل ضمن قصيدة :

رعتم ذئاب من امية وانتحت ... عليهم دراكا ازمة وسنون
وعاثت بنوا العباس في الدين عيثة ... تحكم يه ظالم وظنين
وسموا رشيدا ليس فيهم لرشده ... وماذاك مأمون وذاك امين
فما قبلت بالرشد منهم رعاية ... ولالولي بالامانة دين
رئيسهم غاد وطفلا بعده ... لهذا دنا باد وذاك مجون
الا ايها القبر الغريب محله ... بطوس عليك الساريات هتون(٢)

وقال ابو فراس الحمداني يرث الرضا ــ عليه السلام ــ :

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... وابصروا بعضه من رشدهم وعموا
عصابة شقيت من بعد ماسعدت ... ومعشر هلكوا من بعدما سلموا

---

(١) المصدر / ٢٨٦

(٢) المصدر / ص ٣١٥ نقلا عن مقاتل الطالبين / ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣

لابيعة ردعتهم على دمائهم ولايمين ولا قربى ولا رحم(١)

● كلماته المضيئة :

هل يكفي الانتماء الاسمى الى الامام الرضا ــ عليه السلام ــ من دون معرفته ، والاستضاءة بنور علمه ومعارفه ؟ وكيف يرجو شفاعة النبي واهل بيته يوم الجزاء من لم يتبع سننهم ، و يهتدي بنورهم ؟

ان علينا ان نبحث عن وصاياهم التي خلفوها لنا كنوز لا تنفد ، وتلاد نعم لا تضاهي .

والامام الرضا ــ عليه السلام ــ خلف ميراثا عظيما من المعارف والعلوم ، خصوصا في الحكمة الالهية و بيان فلسفة الاحكام والرد على المذاهب الباطلة .

ونحن في خاتمة كتابنا الذي تشرف باسمه نثبت وصاياه الرشيدة واشاعره الحكيمة لعلنا ننتفع بها :

* قال علي بن شعيب :

(دخلت على ابي الحسن الرضا (ع) فقال لي **ياعلي من احسن الناس معاشا** قلت ياسيدي انت اعلم به مني **فقال ياعلي من حسن معاش غيره في معاشه ، ياعلي من اسوأ الناس معاشا** قلت انت اعلم **قال :**

---

(١) المصدر / ص ٣١٤

من لم يعش غيره في معاشه، ياعلي احسنوا جوار النعم فانها وحشية مانأت عن قوم فعادت اليهم، ياعلي ان شر الناس من منع رفده واكل وحده وجلد عبده، احسن الظن بالله فان من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته ونعم اهله وبصره الله داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام. ليس لبخيل راحة ولا لحسود لذة ولا لملول وفاء ولا لكذوب مروءة). (١)

* وقال ــ عليه السلام ــ :

(اوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم ولد فيرى الدنيا ويوم يموت فيعاين الاخرة واهلها، ويوم يبعث فيرى احكاما لم يرها في دار الدنيا وقد سلم الله على يحيى وعيسى عليهما السلام في هذه الثلاثة المواطن فقال في يحيى : وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا، وفي عيسى : والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا).

* لايتم عقل امرىء مسلم حتى تكون فيه عشر خصال :

---

(١) في رحاب ائمة اهل البيت / ص ١٤٨ من سيرة الرضا (س ٦ ــ ١٥).

(الخير منه مأمول والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، لايسأم من طلب الحوائج اليه، ولايمل من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله احب اليه من الغنى، والذل في الله احب اليه من العز في عدوه والخمول اشهى اليه من الشهرة، ثم قال العاشرة وما العاشرة قيل له ماهي قال لايرى احدا الا قال هو خير مني واتقى انما الناس رجلان رجل خير منه واتقى ورجل شر منه وادنى فاذا لقي الذي هو شر منه وادنى قال لعل خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي واذا رأى الذي هو خير منه واتقى تواضع له ليلحق به فاذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد اهل زمانه).(١)

* وكان ينشد اشعارا يقول فيها (ولعلها من انشائه) :

اذا كان دوني من بليت بجهله ابيت لنفسي ان اقابل بالجهل
وان كان مثلي في محلي من النهى اخذت بحملي كي اجل عن المثل
وان كنت ادنى منه في الفضل والحجى عرفت له حق التقدم والفضل(٢)

* وقال :

---

(١) المصدر / ص ١٤٧ (س ٨ ــ ١٧)

(٢) المصدر / ص ١٥٠

انك في دنيا لها مدة يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها يصلب فيها امل الامل
تعجل الذنب بما تنتهي وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي اهله بغتة ماذاك فعل الحازم العاقل(١)

والى هنا نختم حديثنا المختصر عن حياة سيدنا الامام الرضا ــ عليه السلام ــ نسأل الله ان ينفعنا به يوم القيامة ويجعل ذلك وسيلة لأتباعنا له في الدنيا وشفاعته عند الله في الاخرة.

(١) المصدر.

2931

من هذا الكتاب

كانت امام امامة الامام الرضا (ع) واحدة من فرصتين ..

الاولى : القيام بحركة مسلحة قد تنتهي الى دمار الحركة الشيعية .

الثانية : الاستجابة لتحدي المأمون بقبول ولاية العهد للعمل من خلال السلطة دون اعطاء شرعية لها .

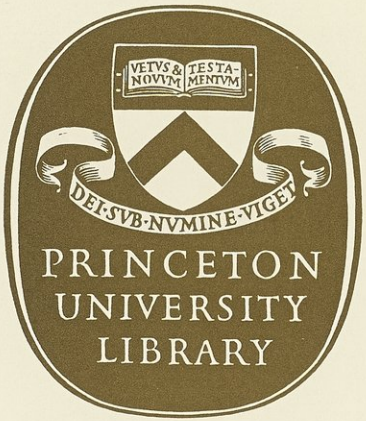

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Oct. - Dec. 1995
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 059527513